الاصلاح السياسي والديني عند مفكري مدرسة فرانكفورت
(هربرت ماركوز) أنموذجاً

د. وجيه عفدو علي
جامعة الموصل- كلية العلوم السياسية

Political and religious reform according to Frankfurt School thinkers
(Herbert Marcuse (a model)

Dr. Wajih Afdo Ali
University of Mosul, College of Political Science

المستخلص: تمثل "مدرسة فرانكفورت" التي تأسست عام ١٩٢٣ في مدينة فرانكفورت الالمانية واحدة من ابرز المدارس الفكري التي ظهرت لمواجهة ومعالجة الاوضاع التي وجدت بعد الحرب العالمية الاولى، ولا سيما في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، من خلال رؤيتها النقدية التي تقوم على اساس عدم الرضا عن الواقع ومحاولة تفسير تفاعلاته وعلاقاته والسعي نحو اصلاحه بالشكل الذي يخدم الانسان الغربي، الذي أصبح حسب هذه المدرسة أمام تحديات كثيرة وأشكال جديدة من السيطرة والقهر والشمولية التي اوجدتها الاداة التقنية والعقلية التقنية، والحرية اصبحت وهم، والديمقراطية اصبحت زائفة، فالشعب ليس بيده السلطة الفعلية والحقيقية، وانما النخبة التي تحكم وتسيطر، وهكذا بدأ الحديث عن فشل الليبرالية الغربية وازمة الديمقراطية. **الكلمات الافتتاحية:** الاصلاح السياسي، والاصلاح الديني، النظرية النقدية، هربرت ماركوز، الاجتماع السياسي.

Abstract

Political and religious reform among the thinkers of Frankfurt School (Herbert Marcuse) as a model The "Frankfurt School" was founded in 1923 in the city of Frankfurt in Germany to face circumstances and conditions that existed after the First World War, politically, socially, culturally and economically through its critical view and based on dissatisfaction with reality. Furthermore, the attempt to interpret its interactions, relations and strive for its change in a way it

can serve the “Western Man “, because due to this School he now was facing a new type of domination, oppression and totalitarianism brought by the technical gadget and mindset. So liberty had become an illusion, democracy a fake and the people without power, but the elite is ruling and dominating. Here was the point, when they started to talk about failure of liberalism and the crisis of democracy .**Keywords:** Political reform, religious reform, Critical theory, Herbert Marcuse, Political Sociology.

المقدمة

بعد مرور قرابة القرن على تأسيس معهد البحوث الاجتماعية والمعروف بـ "مدرسة فرنكفورت" في المانيا، فإنها لا تزال تمثّل تياراً فلسفياً مميزا قادراً على معالجة إشكاليات الدولة المعاصرة ومنظوماتها في العالم الغربي المعاصر، ان هذا النموذج وعلى الرغم من التراث والنتاج الفكري الأوروبي بصفة عامة، والألماني بصفة خاصة، قد رسخ دعائمه في حقل الفلسفة المعاصرة من خلال نظرياتها النقدية وإسهاماتها في اصلاح المجتمعات الاوربية التي تعاني من مشاكل كثيرة حسب وجهة نظر هذه المدرسة، لا سيما فيما يتعلق الديمقراطية والمجتمع الاستهلاكي والرؤية الدينية، وفشل الليبرالية. الأمر الذي ترتب عليه إيجاد تيار فكري واضح يمثل هذه المدرسة في الحقبة المعاصرة والمعروف بـ التيار النقدي، الذي يحاول تشخيص الجوانب والنقاط السلبية التي تعاني منها المجتمعات الغربية، ومن ثم وضع الحلول والمعالجات المناسبة لها، مما جعلها تقف بشكل متميّز إلى جانب أهم الفلسفات الكبرى الحديثة والمعاصرة: مثل الفلسفة الوجودية والبنيوية والنسوية والبيئية والماركسية والليبرالية.

فإن **أهمية البحث** يكمن في ان هذه المدرسة حاولت النظر إلى الفلسفة الماركسية والليبرالية من خلال التركيز على البعد النقدي الكامن فيها وقدرتها المنهجيّة على التحليل بعيداً عن القوالب الإيديولوجية الجاهزة، فقد تمكن مفكري هذه المدرسة وخصوصا (هربرت ماركوز) (Herbert Marcuse) (1898–1979) من صياغة وإعادة تمحيص الأسس النظرية للماركسية التي اهتزت بعض مسلماتها اهتزازا شديداً بعد الحرب العالمية الأولى.

وإن **فرضية** التي تقوم عليها البحث تكمن في ان الاصلاح السياسي والديني يمثل أحد المحاور الرئيسة عند مفكري "مدرسة فرانكفورت"، حتى أن فلسفتهم أصبحت تعرف بالفلسفة

النقدية، للتعرف على كيفية مواجهة مشكلاتها ووضع الحلول لها، واعتبار النقد الوسيلة الاساسية في تحقيق الحرية والازدهار الاقتصادي.

وتقوم **منهجية البحث** على اعتماد أكثر من منهج من مناهج البحث العلمي، فقد تم اعتماد المنهج التاريخي في متابعة التطور التاريخي والفكري لمدرسة فرانكفورت، وكذلك المنهج التحليلي في تحليل الافكار والاتجاهات الفكرية الاساسية عند هذه المدرسة.

وتنقسم **هيكلية البحث** الى مبحثين أثنين، يعالج الأول مدرسة فرانكفورت: النشأة والأسس الفكرية، والمبحث الثاني يسلط الضوء على الاصلاح السياسي والديني عند مفكري مدرسة فرانكفورت ولا سيما عند المفكر هربرت ماركوز.

المبحث الأول: مدرسة فرانكفورت: النشأة والأسس الفكرية: هذا المبحث يحاول التعرف على تاريخ هذه المدرسة والوقوف على أبرز المحطات التي مرت بها، وكذلك بيان أسسها الفلسفية التي تسند أليها في تقديم رؤيتها للواقع القائم، من أجل تكوين وعي سياسي ناضج وفكر نقدي، والامر الذي يحتاجه كذلك الوقع الراهن الذي يعيشه كثير من المجتمعات العربية والاسلامية التي تعاني من ثالوث الفقر والفساد والاستبداد.

أولاً – مدرسة فرانكفورت: النشأة والتطور:

نشأت مدرسة فرانكفورت بعد الحرب العالمية الاولى وتحديداً في عام ١٩٢٣ على يد مجموعة من الاساتذة والفلاسفة، تابعاً لجامعة فرانكفورت ، والتي أصبحت فيما بعد تياراً فكرياً وضحاً قدم دراسات وابحاث عديدة ومتنوعة عن المجتمع الغربي المعاصر، وأصبح (كارل جرونبرج)(1861–1940)(Karl Grünberg) أول مدير لها ، ومن بين أكثر ممثليه شهرة كان (ماكس هوركهايمر)(Max Horkheimer) (١٨٩٥–١٩٧٣) و(ثيودر أدرنو)(Theodor Adorno)(١٩٠٣–١٩٦٩) و(هربرت ماركيوز)(١٨٩٨–١٩٧٨)([1]) ، الذي برز نجمه اللامع في ستينيات القرن العشرين ، وكذلك (ليو لوينثال)(Leo Lowenthal) (١٩٠٠–١٩٩٣) و(فريدريك بولوك)(Friedrich Pollock)(1894–1970) و(أريك فروم) Erich) (Fromm(١٩٠٠–١٩٨٠) وكثيرين غيرهم . وقدمت هذه المدرسة نظرية نقدية تناولت مختلف نماذج الوعي النظري والعملي، وبالأخص الايديولوجية الكونية (الشمولية) والمجتمع الصناعي والرأسمالي . وقد جمعت في آرائها بين الهيغلية والماركسية ومدارس علم الاجتماع والنفس

([1]) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٤، ص٣٣.

بالشكل الذي جرى توظيفه في نقد نمطية الوعي والعقائد الجامدة. من هنا جاء انتقادها للماركسية "الرسمية" التي جرى تحويلها الى نصوص مقدسة لا تقبل النقد والمناقشة. فضلاً عن محاولتها في تجديدها لتلائم متطلبات العصر وتجاوز نصوص الماركسية الكلاسيكية([1]). تعد مدرسة فرانكفورت من أهم المدارس الفلسفية التي تولدت في أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية كانت سائدة في ألمانيا في العشرينيات من القرن الماضي، والتي تعد من العوامل الرئيسة لنشأة المدرسة من أجل تفسير هذه الأوضاع المستجدة والتعامل معها انطلاقاً من نمط التفكير النقدي. لقد أشار (توم بوتومور) إلى هذه العوامل في حديثه عن المنطلقات الفكرية للمدرسة قائلاً: يتعلق الأمر هنا بعدم مجيء المشروع العلمي الذي قدمته هذه المدرسة من فراغ، إذ آزرت ظهوره وتطوره ملابسات موضوعية، مثلتها شروط مادية، وإنتاج نظري مواكب لتلك الشروط، ومعبر عن قضاياها. وهذا يعني أن "مدرسة فرانكفورت" هي وليدة سياق تاريخي وبيئة فكرية مضطربة ومتوترة بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية ([2]).

مما تقدم يتبين ان نشأة هذه المدرسة كانت بمثابة رد فعل على الاوضاع والمشاكل التي شهدتها المجتمعات الغربية عموماً والمجتمع الالماني خصوصاً، في المرحلة بعد الحرب العالمية الاولى، لذلك قدمت إسهامات كبيرة لتجاوز تلك المشاكل.

ثانياً – الأسس والمنطلقات الفكرية:

أن مدرسة فرانكفورت اتخذت من النقد أساسا لها ، والنقد هو تقليد ألماني قديم، وقد بدأ واضحاً خصوصاً مع كتابات ونصوص (ايمانؤيل كانط) (Immanuel Kant) (١٧٢٤-١٨٠٤) الذي أحدث تغييراً كبيراً في طرق التفكير بإدخاله مفهوم النقد وقام بثورة منهجية أو كما يسميها هو بثورة كوبرنيكية في مجال الفلسفة، أن النقد الكانطي يعد مرجعاً أساسياً اعتمد عليه أصحاب النظرية النقدية وخصوصاً في كتبه الرئيسة الثلاثة: "**نقد ملكة الحكم**" عام ١٧٩٠، و"**نقد العقل الخالص**" عام ١٧٨١، و"**نقد العقل العملي**" عام ١٧٨٨([3])، ويرجع العديد من المهتمين النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت الى (كانط)، ومن بعده (هيغل) (١٨٣١-١٧٧٠)(Georg w. F. Hegel)، وأتباعه "الهيغليين الشباب" ليصل هذا الفكر بعد ذلك إلى مؤسسي "مدرسة فرانكفورت"، فالنظرية النقدية تكونت انطلاقاً من نقد مفكرين وفلاسفة ونصوص

([1]) مازن لطيف، مدرسة فرانكفورت النقدية، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع: http://www.alnoor.se/article.asp?id=7665

([2]) نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت: ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو-نموذجا-دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٧، ص46.

([3]) محمد نور الدين افاية، في النقد الفلسفي المعاصر: مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص٢٩.

فلسفية أخرى، لأنه بدون استلهام للماضي ومحاورة الحاضر لا يمكن اتخاذ أية مسافة نقدية كيفما كانت دلالتها ومقاصدها ([1]) .

ضمن هذا السياق، حاول بعض مفكري النظرية النقدية نحت منحى واتجاها توفيقياً بين الفلسفة كانطية والمادية الجدلية لا سيما في بعديهما المتعالي كما يقول: (ماركوز). وانطلاقا من القيمة التي أسستها الكانطية في التاريخ الحديث للفلسفة الكلاسيكية الألمانية، يسعى مفكري مدرسة فرانكفورت إلى تقديم النظرية النقدية والتفكير النقدي التي يجتهدون في بنائها وتوضيحها كوريث شرعي للعقلانية الكلاسيكية منذ عصر (كانط).

فإذا كان (كانط) قد أقام فلسفته النقدية لتمييز المعرفة العلمية الصحيحة عن المعرفة الميتافيزيقية التي تؤدي إلى وقوع العقل في التناقض، فان (هيغل) توجه بجهده الفلسفي لتحقيق غاية أساسية، وهي بناء نظرية تجعل من النقد والتناقض جوهرا لفلسفته ومنهجه الجدلي الذي يعنى بالجانب الاجتماعي العملي ويحاول فهم وتشخيص أسباب الاوضاع البائسة في الواقع الاجتماعي لتأسيس واقع جديد([2]). وقد قام (هيغل) من خلال منطقه الجدلي، بإدخال العقل في الوعي وفي الطبيعة ثم تجلى ذلك في التاريخ، وأصبح هو جوهر التاريخ ومحركه، بل أصبحت العميلة المعرفية نفسها تنموا في مراحل متعددة، وقد قام أيضاً بمهاجمة المعرفة العقلية الخالصة التي فصلت الفكر عن الوجود، ان رؤى (هيغل) هذه، التي انتهت الى مهاجمة الفلسفة التجريبية الخالصة التي أغفلت السمات العقلية للواقع.

ويُعد (هيغل) حسب منظري مدرسة فرانكفورت هو رائد الفلسفة الاجتماعية، لأنه خلص الفلسفة من القيود الشخصية المفردة، حين ألقى بالوعي في تجربة جماعية وكونية يخوضها الروح منذ اللحظة الأولى التي انفصل فيها عن الطبيعة، وحديثه عن اللحظة المطلقة، وتظهر هذه التجربة في الدين والفن والسياسة وتجد في الفلسفة تعبيراتها المفهومية([3]). وإذا كان هناك اختلاف بين الباحثين حول ما إذا كانت فلسفة (كانط) تمثل إحدى الخلفيات الفلسفية لمدرسة فرانكفورت، فأن هناك أجماع على أن فلسفة (هيغل) تمثل مرجعية أساسية لفكر مدرسة فرانكفورت، وقد تبين ذلك بوضح في كتابات (ماركوز) وخصوصاً في كتابه "**العقل والثورة: هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية**" الذي نشر عام ١٩٤١.

([1]) عبير سهام مهدي، مدرسة فرنكفورت النقدية: الاسس والمنطلقات الفكري، مجلة العلوم السياسية، العدد (50)، السنة (10)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، 2018، ص١٣٤.

([2]) محمد نور الدين أفاية، مصدر سبق ذكره، ص٤٠.

([3]) خالد مخشان، لنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: نشأتها، وأسسها الجوهرية ومنطلقاتها الفكرية (ج١)، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=424370&r=0

وكذلك ان كتابات (ماكس فيبر)(١٩٦٤-١٩٢٠) حول العقلانية لها تأثير واضح على مفكري مدرسة فرانكفورت وتمثل مرجعاً أساسياً للمدرسة، والتي ظهرت بوضوح في كتاب (ماركوز) "**الانسان ذو البعد الواحد**" عام ١٩٦٤ الذي يوضح ويحلل فيه المجتمع الرأسمالي المعاصر والمجتمع الشيوعي المعاصر، وظهور اشكال جديدة من القمع الاجتماعي في كلا المجتمعين، الامر الذي جعل من الانسان والمجتمع ان يكون ذو بعد واحد في الفكر والسلوك. وكذلك في حديثه عن منطق الهيمنة وهو المفهوم الاساسي الذي أضحى مبدأ جوهرياً عند هذه المدرسة في أوج ازدهارها، وهذا يعني ان السيطرة على الطبيعة من خلال العلم والتكنولوجيا تنشأ عنه بالضرورة شكلاً جديداً من أشكال السيطرة على الانسان([١]). وكذلك كتابات (ماكس هوركهاير وثيودور اودورنو وهربرت ماركوز) التي عالجت موضوعات مختلفة تمثل هي الاخرى أبرز الأسس والمنطلقات الفكرية التي استندت علها هذه المدرسة وقامت على أساسها بنائها التصوري حول المفاهيم والمشكلات المطروحة امام المجتمعات الغربية المعاصرة في مجال علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفلسفة والفن والشعر وعلم الجمال.

المبحث الثاني: الاصلاح السياسي والديني عند هربرت ماركوز

أولاً – هربرت ماركوز والاصلاح السياسي: لقد ركزت تصورات وآراء مفكري مدرسة فرانكفورت ومنهم (هربرت ماركوز) في اصلاح المجتمعات الغربية المعاصرة على تحليل العملية والتجربة الديمقراطية التي توجد في الولايات المتحدة الامريكية، وأظهر أنها ديمقراطية محدودة جداً، هذا بالرغم من وضع هذه الدولة واعتقاد أفراده وطبقاته الاجتماعية بأنهم يعيشون بالفعل في مجتمع ديمقراطي. ولقد ظهر هذا الاعتقاد نتيجة لدور المؤسسات التربوية والنظام التعليمي الذي خصص أساساً لإنتاج نوع من الشخصية الفردية التي تشعر بالسيطرة أو التبعية أكثر من شعورها بأنها تتمتع بخاصية الاستقلالية أو المساواة ([٢]).

وفي مواجهة وضع فكري متمايز واشكالي كهذا، أنطلق رواد "مدرسة فرانكفورت" وعلى رأسهم (هربرت ماركوز) في نقدهم الفلسفي والاجتماعي للمجتمع التكنولوجي من رفضهم للنظام الاجتماعي والاقتصادي القائم وأيديولوجيته في محاولة في تحقيق التغيير الاجتماعي وعادة

([١]) سهام عبير مهدي، مصدر سبق ذكره، ص١٣٨.

([٢]) أحمد جميل حمودي، مدرسة فرانكفورت: شعلة اليسار الجديد، ٢٠١٨، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع:
https://www.alawan.org/2013/12/08

هندسة المجتمع ([1]). وكذلك عند النظر الى المشهد الفكري المعاصر يتبين ان النظرية النقدية ارادت ان ترفض الصورة الذاتية للمجتمع وان ترفض طرق التفكير السائدة من أجل التغلغل فيه والوصول الى جوهره بعمق، فعليها ان تكون متشككة في كل شيء تماماً، وان تتضمن دراسة المجتمع بصورة نقدية تحت شعار "النقد الذي لا يرحم لكل الاشياء"([2])، وانطلاقا من ضرورة اعادة النظر في علاقة الانسان مع الطبيعة وصولاً الى صياغتها من جديد ذهبت هذه المدرسة من نقد الأفكار إلى نقد المجتمع الصناعي والرأسمالي ومؤسساته ووسائل الاتصال والتكنولوجيا التي تدعم ذلك المجتمع الاستهلاكي. وتجاوز النقد الأدبي إلى النقد الاجتماعي والثقافي والفلسفي. وتمثلت النظرية النقدية بعدد من المفكرين الذين ينتمي الغالبية منهم إلى اليسار الأوروبي عامة والألماني خاصة، الذين سبقوا غيرهم في إثارة كثير من التساؤلات المعرفية التي تدعو إلى الشك والقلق والجدل وضرورة تجديد التفكير المعرفي (الأبستمولوجيا)، عن طريق نقدهم الفلسفي والاجتماعي والسياسي ورفضهم للنظام الاجتماعي القائم وأيديولوجيته. وقد أرتبط اسم النظرية النقدية بمؤسسها (ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو) كما أرتبط أسمهما بمعهد البحث الاجتماعي بجامعة فرانكفورت الذي اتخذ في عام ١٩٥٠ اسم "مدرسة فرانكفورت". تمثلت هذه المدرسة باتجاهات فلسفية واجتماعية وثقافية مختلفة تلتقي جميعاً في نقدها للمجتمع الصناعي. ويعد (يورغن هابرماس)(Jürgen Habermas) آخر وأهم روادها الذي اهتم بدراسة المجتمعات الرأسمالية المتأخرة (ما بعد الصناعية) ذات الأيديولوجية التكنوقراطية كما صاغها في نظريته النقدية التواصلية التي تضع حلولاً عقلانية لمواجهة تحديات الرأسمالية والعولمة وما بعد الحداثة. ومن أهم مؤلفاته "**النظرية النقدية التواصلية**" التي هدف فيها إلى بناء عالم عقلاني إنساني ومنظم عن طريق الديمقراطية التعددية التي تقوم على التفاهم والتواصل والحوار العقلاني المستمر للتحرر من العقل الأداتي الذي يسيطر على العقل الأوروبي الحديث ([3]).

وفي هذا السياق، لقد مثلت وجهة نظر المستخفة بالديمقراطية ونتائجها والدولة الدستورية والتي حملها كل من (هوركهايمر واودرنو وماركوز) جزءاً من نزعتهم التشاؤمية العامة حيال المفاعيل السلبية المترتبة على العقل الاداتي، فقد بلغ بهم الامر حد اعتبار الديمقراطية والدولة

([1]) Herbert Marcuse, towards a Critical Theory of Society, collected papers of Herbert Marcuse, Volume (2), Edited by Douglas Kellner, Routledge, London and New York, 2001, p37.

([2]) ديفيد إنغليز وجون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر، ط١، ٢٠١٣، ص٦٨.

([3]) مقال منشورة في جريدة مجلة المدى (الافتتاحية)، على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع: https://almadapaper.net/view.php?cat=95016

الدستورية مجرد وسيلتين لتوسيع مدى الضبط الاجتماعي، أي موردين من موارد العقل الاداتي، أما (هابرماس) فقد رأى عكس ذلك منذ البداية، فالدولة الديمقراطية الحديثة على الرغم من محدوديتها تشتمل على بذرة ما ينبغي ان يكون عليه مجتمع عقلاني ([1]).

على الرغم من اعتقاد عقل ما بعد الحداثة بتفوق الديمقراطية الليبرالية، إلا ان (ماركوز) في نقده للمجتمع الحديث وتركيبته يرفض ذلك، إذ يعتقد ان اهم ما يميز الحضارة الصناعية المتقدمة، هو، افتقاد الحرية في اطار ديمقراطي، بعد ان كانت الحقوق والحريات عوامل اساسية في المرحلة الأولى من المجتمع الصناعي، بدأت تقل أهميتها في مرحلة لاحقة أكثر تقدماً وتفرغ من مضمونها التقليدي ، فقد كانت حرية الكلام والفكر والضمير شأنها شان المشروع الحر الذي كانت تخدمه وتذود عنه، تهدف هي المكونة في جوهرها من أفكار نقدية إلى استبدال ثقافة مادية وفكرية بالية بثقافة اخرى اكثر فعالية وعقلانية، وعندما أخذت تلك الحقوق والحريات صفة المؤسسات شاطرت المجتمع الذي اصبح جزءا لا يتجزأ منه، مصيره بكلمة واحدة أن الانجاز يموه المقدمات([2]).

ففي معالجته لبنية المجتمع الغربي المعاصر ونفور المعارضة من مسار العملية الديمقراطية الراهنة وأنظمتها وضرورة إعادة فحص الديمقراطية بالعمق، ودورها في الانتقال من مجتمع مُستبعد الى مجتمع حُر، يرى (ماركوز) ان هناك قوى في داخل الاطار الديمقراطي تفسد طبيعة الملامح الحامية للديمقراطية، وهذا ما أكده عندما قال: "أننا نشهد حالياً تشديد تلك القوى ومؤازرتها الدائمة، فأن ديمقراطية الجماهير على نحو الذي نشأتها به رأسمالية الاحتكارات ولدت حقوق وحريات مضايقة للمصالح الرأسمالية، فالأكثرية ليست سوى أكثرية مسيطرة والانحرافات يسهل سد مدها، في مستطاع سلطة متمركزة بقوة ان تتسامح، لا بل ان تدعم حركة انبثاق جذري في حدود ما تذعن القواعد والاعراف الاخلاقية القائمة، وهكذا فأن الآليات نفسها للمعارضة ان تتنامى وتنتظم تدمجها في الكون الذي تعارضه، ولا يمكن للمعارضة ان تملك سنداً في الجماهير، ان تتوصل الى تكوين سند، والعمل في مثل هذه الحالة وفق القواعد الشرعية الديمقراطية وطرائقها، انما يعني استسلاماً أمام بنية السلطة القائمة، ومع ذلك يصبح من الشؤم ترك الدفاع عن الحقوق المدنية والحريات داخل الاطار العام"([3]).

([1]) آلن هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، دار العين للنشر-الاسكندرية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد (١٥٨٤)، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص٩١.

([2]) هربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨، ص٣٧.

([3]) هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ص١٠٨-١٠٩.

وهكذا، يمكن القول انطلاقاً مما سبق، أنه بقدر ما تنمو المعرفة العلمية بقدر ما يجد الانسان ان آفاق حريته وسعادته تتقلص، وكذلك استقلاله الذاتي بوصفه فردا، بل ان قدرته على التخيل والحكم المستقل يتناقض أيضاً، لهذا السبب انشغلت هذه المدرسة كثيرا بمصير الانسان الغربي المعاصر الذي تقلصت مساحات حريته، وذلك على الرغم من انه يعيش اليوم في مجتمعات جعلت الحرية والسعادة والتقدم شعاراً لها، غير انه في حقيقة الامر هنا قهر يمارس عليه بصورة اشكال مختلفة داخل المؤسسات السياسية والادارية في نشاطاتها ووظائفها الى المعرفة العلمية والتقنية والى الخبراء المختصين في مختلف المجالات، لهذا استطاعت الدولة ان تتحول الى نظام شامل للقمع والقوة والسيطرة، فعرضت الانسان لأشكال مختلفة من السيطرة والقهر([1]). ففي مقاربته لليبرالية وبيان تناقضاتها يؤكد (باتريك ج. دنيين) في كتبه "**لماذا فشلت الليبرالية**" أن الليبرالية لم تكن أول من اكتشفت التشوق نحو الحرية والتحرر، فشوق الانسان لنيل الحرية والتحرر من الظُلم قديم، وان مصطلح الحرية مصطلح قديم على وجود الليبرالية كأيديولوجيا، إذ ان الدفاع عنها وتحقيقها كان الهدف الرئيس للفلسفة السياسية في العصور الاغريقية والرومانية القديمة، ولكن في الماضي كانوا يعتقدون بأن الحرية هي شرط اساسي للاستقلال والحكم الذاتي وتقويض أسس الاستبداد ليس فقط على المستوى السياسي، بل على مستوى الروح الفردية أيضاً. ومن ثم كانت الحرية تعني الانضباط وضبط النفس عن الشهوات، فضلاً عن الترتيبات الاجتماعية والسياسية التي تثبت وتعزز الفضائل وتعزيز فنون الحكم الذاتي، الا ان الليبرالية من وجهة نظر هذا الكاتب ترفض هذا الفهم للحرية، اذ إنها تقدم فهماً مختلفا لذلك، فمثلاً الليبرالية تتطلب التحرر من كل أشكال العلاقات الاجتماعية والسياسية من العائلة إلى الكنسية ومن المدرسة إلى القرية والمجتمع وذلك لأجل التحرر من المعايير والأخلاق التي تقيد السلوك وتضبط معايير العمل ([2]). فالحرية التي تعني انعدام القيود أو غياب العوائق امام حركة الانسان في تحقيق ذاته تعد من الضمانات الضرورية للسعادة الفردية ([3]).

في واحد من أوائل كتبه هو "**التحول البنيوي في المجال العام**" تحدى (هابرماس) بصورة ضمنية سلبية الجيل الاول من النظرية النقدية تجاه الديمقراطية الحديثة، إذ رأى ان المجال العام

([1]) كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيت، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، منشورات الاختلاف–الجزائر، ط١، ٢٠١٠، ص٣٠.

([2]) Patrick J. Deneen, WHY LIBERALISM FAILED, Yale university press, New Haven and London, 2019, p21-22.

([3]) هارولد ج. لاسكي، الحرية في الدولة الحديثة، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ص٤١.

الذي نشأ وتنامى في اوروبا في القرنين: السابع عشر والثامن عشر في إطار المجتمع البرجوازي الحديث المنقسم الى طبقات، فقد اشتمل على الرغم من ذلك على بذرة ما هو أشد مساواة وعقلانية، ففي القرن السابع عشر كانت فكرة المجال العام تشير الى القضايا التي يعنى بها البلاط الملكي والدولة، وليس الشعب عموما، وفي القرن الثامن عشر حصل تحول كان منشؤه في الصالونات الادبية ومقاهي ذلك العصر، هكذا كان بمقدور المواطنين "البرجوازيين" خارج الدولة في كل من انكلترا والمانيا وفرنسا وبدعم من تقنية الطباعة ان ينخرطوا أحدهم مع الاخر في قضايا الشأن الثقافي، وكان من الطبيعي في النهاية ان تغير مثل هذه القضايا على أمور ليست ثقافية وحسب، بل تنتمي الى الشأن العام مثل السياسة، وان كان ممثلو الجماعات المتميزة اشد التمييز هم الذين شغلوا مثل هذه الامكنة والمواقع، فلقد تميز المجال العام بخصائص مميزة يمكن تحديدها على هذا النحو:-

١- ان الخطاب في المجال العام لم يكن يقيم اعتبارا لمكانة أولئك المندرجين فيه، ففي حين لم يكن يحتفي بالمساواة في المواطنة، إلا انه كان يخرج خارج قوسين تلك العوامل الخارجية، بحيث يفترض ان السلطان والتفوق هما لقوة الحجة والسجال الأفضل.

٢- ان النقاش في المجال العام كان يضفي طابع الاشكالية على القضايا التي يناقشها، تلك القضايا التي كان احتكار تأويلها قد انحصر حتى ذلك الوقت بالكنسية والدولة.

٣- اما ثالث هذه الخصائص، فهي، ان تلك السيرورة التي حولت الثقافة الى سلعة هي ذاتها ما شكل اساس اشتماليها أو شمولها، هكذا لم يعد بمقدور المجال العام ان يقتصر على عصبة أو زمرة مهما كان أقصائي بالفعل، بمعنى سكناه من قبل قطاعات معينة متعلمة من السكان فقد انغمس ذلك الانغماس الدائم في قضايا هي قضايا عامة من حيث أنها تلقي بثقلها على الشعب ككل، ومن حيث ان الشعب ككل يمكن ان يفيد ذات يوم من السلع الثقافية الضرورية ([1]).

ان الاصلاح السياسي في المجتمعات الغربية المعاصرة يركز على ابراز وتحليل التناقضات الأساسية التي تعرفها هذه المجتمعات من أجل الكشف عن أسس وآليات السيطرة التي اصبحت تتحكم في الافراد والجماعات، الامر الذي دفع بمفكري هذه المدرسة الى التأكيد ان النظرية النقدية هي نظرية اجتماعية تزعم تحليل المجتمعات في ضوء وظائفها وإمكانياتها

([1]) آلن هاو، مصدر سبق ذكره ، ص ص٩١-٩٢.

وتحدد الاتجاهات الممكنة التي تستطيع ان تؤدي الى ما وراء الوضع الراهن للأمور([١]). وتجدر الاشارة الى نقطة في غاية الأهمية، وهي، ان مفكري مدرسة فرانكفورت وعلى رأسهم (ماركوز) يفكرون في العالم الحديث وفي مسألة الاصلاح والتغيير من زاوية تفكير الانسانية في نفسها، واعتمادا على شكل جديد من النظرية الاجتماعية، لذلك اعتبر مفكري النظرية النقدية ان تداخل الاختصاصات شرط ضروري في النظر الفلسفي، وعلى الفلسفة ان تدمج اجتهادات الاقتصاديين والمؤرخين وعلماء النفس وغيرهم في صوغ اسئلتها، الامر الذي ادى بهم الى تنوع اهتماماتهم، ومقاربة موضوعات متنوعة تفترض اختصاصات متعددة، فنقد السلطة والعائلة، ونقد مفهوم التحرر البرجوازي، ونقد الفاشية، والكشف عن آليات السيطرة في الثقافة، ونقد الدولة الحديثة ومؤسسات السياسة التوتاليتارية يتطلب اهتمامات واختصاصات متنوعة ومتعددة([٢]).

وعليه، فقد حاول فلاسفة النظرية النقدية ولا سيما (ماركوز) انطلاقا من ممارستهم للنقد أعاد طرح الهم المعرفي من جديد من خلال المعاناة الحضارية والثقافية على ضوء تحولات النصف الثاني من القرن الماضي، وظهور اعلى مراحل المد التقني، فيما أصطلح على تسميته بالعصر ما بعد الصناعي، نسبة الى التغيير الهائل الذي أحدثه الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وقياساً الى التقنية التقليدية السابقة، وكذلك قام بفضح وسائل السيطرة والهيمنة الجديدة داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة، يستوي في ذلك كلا النظامين: الرأسمالي والاشتراكي، كاشفاً عن العقلانية التي تجسدها هذه المجتمعات بوصفها وهماً تخفي ورائها لا عقلانية مستشريه تستخدم القمع وسيلة لتقنين حرية الانسان والجماعة والفرد من قبل السلطة القائمة([٣]).

وذلك لان الدرس الوحيد الذي يؤكده استقصاء التاريخ، هو، ان السلطة التي لا رقابة عليها لا مفر بلا استثناء من ان تسمم أولئك الذين يمتلكونها، فهم دائماً، تحت أغراء فرض شريعة خيرهم على الاخرين، وفي النهاية يفترضون ان خير المجتمع يعتمد على استمرار سلطتهم، فالحرية تتطلب دائماً تحديداً للسلطة السياسية، والا سوف تتجه السلطة نحو التوسع، الامر الذي يتعارض مع الحرية ([٤]).

على كل حال، ان العقلانية العلمية المترجمة الى سلطة سياسية تمثل المرحلة المتقدمة من الحضارة الصناعية والعامل الحاسم في تطور الاحتمالات التاريخية، ومن هنا يطرح السؤال التالي: هل ستميل هذه السلطة الى نفي ذاتها، أي الى دعم كما يسميه (ماركوز) بـ "**فن**

([١]) كمال بومنير، مصدر سبق ذكره، ص٦٥.
([٢]) محمد نور الدين أفاية، مصدر سبق ذكره، ص٦٤.
([٣]) توم بوتو مور، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٢-٢٣.
([٤]) هارولد ج. لاسكي، مصدر سبق ذكره، ص٤١.

االحياة"؟ الحق أنه اذا ما أستمرت المجتمعات القائمة في تطبيق العقلانية العلمية بصورة منهجية، فأنها ستتوصل الى مكننة كل العمل الضروري اجتماعيا، لكن القمعي والاضطهادي فردياً، وعند هذه المرحلة من المكننة الشاملة ستكون العقلانية العلمية في بنيتها واتجاهها الحاليين قد ادركت غايتها ووصلت الى منتهاها، واي تقدم فيما وراء هذا الحد سيكون بمثابة قطيعة تكرس انقلاب ملكوت الكم الى ملكوت الكيف، وبذلك سيتكون واقع انساني جديد جوهرياً، أي وجود في زمن حر فعلاً ومن خلال تلبية شاملة للحاجات الحيوية، وفي مثل هذه الشروط يمكن ان يتجه المشروع العلمي بالذات نحو غايات تتجاوز الغابات النفعية نحو "فن الحياة"، لان سيكون قد تحرر من ضرورات السيطرة ونزواتها. يضاف الى ذلك ان ثمة تطور حاسم اخر مشجع لهذه التوجهات النقدية هو ان الشرط الضروري المسبق لتجاوز الواقع التكنولوجي هو تحقق هذا الواقع واكتمال صيرورته، أما العقلانية بإمكانياتها الجديدة التي ستفسح المجال أمام هذه التجاوز فستكون من ذلك تحقق ذلك الواقع ([1]).

هكذا يتبين في نصوص (ماركوز) ان التاريخ يشهد لأول مرة تطورا كبيراً في مستوى الحياة وزيادة في درجة الهيمنة على الوعي يتعاونان معاً على اقامة تنظيم اجتماعي مخطط يميل الى تقوية البعد التكتيكي للإنسان الى درجة ملحوظة ويضعف حتى الزوال بُعده التجاوزي والقوى التي تميل الى تحقيقه، لما كانت كل ثقافة وكل تطور في الشخصية يرتبطان ببعدي التكيف والتجاوز، الواقع والممكن، ويقومان على أساسهما، فإن التقدم يشكل تهديداً ملحوظاً بالنسبة لمستقبل الخلق الثقافي والحرية الفردية الاصيلة التي ينزع الفكر الرأسمالي ومجتمعه الى أزالتها لكي يحل محلها الانسان الجديد، وثمرة التخطيط الاجتماعي هذا الوحش الذي يعيش بشكل مريح ولا يعرف الا شكلين من السلوك هما: الاستهلاك وتنفيذ القرارات المتخذة من قبل الاخرين، ليكون بذلك جديرا باسم "الانسان ذو البعد الواحد". وهكذا يحتل نقد المجتمع الرأسمالي مكاناً متميزاً في نظرية (ماركوز)، إذ يتحدث منذ البداية وبشكل مسبق عن مجتمع مغلق له نتيجتان بأهمية خاصة وهما([2]):-

١- دمجه للقوى والمصالح المتعارضة في نظام كانت هذه القوى تقاومه في المراحل الرأسمالية السابقة.

٢- إدارته وتعبئته المنهجية المخططة والمنظمة للغرائز الانسانية.

([1]) هربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد .....، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٣.

([2]) عبد الرضا حسين الطعان واخرون، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج٢، الفكر السياسي الغربي المعاصر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٨، ص١٧٣.

رغم نظرة (ماركوز) اليائسة هذه، تجاه النظرية الماركسية في الثورة والتغيير، إلا انه لم يفقد الأمل نهائيا في بزوغ افق ثوري جديد، فتشاؤميته الواضحة في كتابه "**الانسان ذو البعد الواحد**" سرعان ما تحولت الى تفاؤل ثوري في كتبه اللاحقة، التي تزامن صدروها مع صعود الموجات والحركات الاحتجاجية لـ (اليسار الجديد) الذي اضحى (ماركوز) واحد من الآباء الروحيين له في نهاية الستينيات القرن الماضي، إذ اناط بقوى مهمة افاقة الطبقة العاملة وإيقاظها من سباتها، هذه القوى تمثلت عنده بأدنى الشرائح والطبقات الاجتماعية من شريحة المنبوذين واللا منتمين، والعروق الاجنبية، والالوان الاخرى، والعاطلون عن العمل والعاجزون عنه، فهؤلاء يقفون خارج عجلة الرأسمالية، خارج سيطرتها وخارج رفاهها، وحياتهم تعبر عن الحاجة الملحة والمباشرة الى وضع حد للشروط والمؤسسات الرأسمالية القائمة، ان معارضتهم ثورية حتى وان لم يكن وعيهم ثوريا([١]). وان المجتمع التكنولوجي المعاصر يتسم بقدر هائل من السيطرة المحكمة على مقدرات الافراد، وانه ليكفي لقيام السيطرة في رأي (ماركوز) ان تكون الغرائز الانسانية متسقة مع اوجه الطلب الخارجي النابع من عملية خلق وعرض الاحتياجات المادية، وعلى هذا فان الخلاص الانساني في رأيه يكمن في التغيير القوي الذي يستهدف اعادة بناء وتشكيل الغرائز الانسانية وتحريرها من ذلك القالب الذي فرضت عليها متطلبات الانتاج والتقدم بحيث تحل ارادة الرضا محل منطق السيطرة ([٢]).

من الممكن، اذاً، ان تتأسس فكرة (ماركوز) عن الهندسة الاجتماعية هنا بعدم اندماج تلك الجماعات في المجتمع الرأسمالي المعاصر، من شأنه ان يتيح فرصة انبثاق آفاق جديدة لإعادة هندسة المجتمع، لان هذه الجماعات محرومة من الامتيازات السلعية والاستهلاكية التي يقدمها المجتمع الرأسمالي، تلك الامتيازات كانت وراء اندماج الطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي واستيعابه، بحيث تزداد الفجوة في المستوى الاستهلاكي بين هؤلاء وبقية طبقات المجتمع بفضل الوفرة التي حققتها التكنولوجيا، فالرأسمالية عاجزة عن الوصول الى هؤلاء، ومن ثم، فإن نظام الحاجات الذي تمارس الهيمنة على الجمهور من خلاله يصبح غير فعال([٣]). وانه في تحليله للمجتمع الرأسمالي يرى "ان الروح الفردية تتمخض في نهاية المطاف عن فقدان الذات، وان النزعة العقلانية التي نتوهم ان تسود الحضارة الصناعية سوف تفضي كذلك في نهاية المطاف

([١]) مجموعة مؤلفين، مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف، تحرير وأشراف علي عبود المحمداوي واسماعيل مهنانة، ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر، دار الروافد الثقافية – ناشرون - بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص١٣٠.

([٢]) انطوني دى كرسبنى، أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ترجمة ودراسة نصار عبدالله، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ص٣٢-٣٣.

([٣]) مجموعة مؤلفين، مصدر سبق ذكره، ص١٣٠.

الى نوع من اللاعقلانية الشاملة والمدمرة، وليس بوسعنا من ثم ان ننظم الحضارة، بل لا بد ان نتجاوزها"([1]).

ثانياً – مدرسة فرانكفورت والاصلاح الديني:

وهكذا، وعلى جبهات كثيرة في فضاء الاجتماعي الغربي، استطاعت "مدرسة فرانكفورت" ان تؤسس لنظرية جديدة في مقاربتها لقضايا ومشاكل المجتمع الغربي المعاصر خصوصاً الدينية والاجتماعية والاخلاقية، وهذا ما تبلور فيما أصبح يسمى عند مفكري هذه المدرسة ب "نظرية أو مبدأ الاعتراف"، والتي اكتسبت أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة في المجالات الفكر السياسي الغربي، فقد أكدت هذه المدرسة على انه لا يمكن باي حال من الاحوال تحقيق قيم التسامح وكرامة الانسان وضمان حقوقه الاساسية المشروعة سياسياً وأخلاقياً وقانونياً، إلا بواسطة تحقيق الاصلاح الديني وترسيخ مبدأ الاعتراف من أجل تخفيف من المعاناة والظلم الاجتماعي والسياسي واللا مساواة وكل أشكال الاقصاء والازدراء والامراض الاجتماعية. وهكذا أصبح مفهوم الاعتراف الذي يمثل مطلب أساسي من مطالب تحقيق الاصلاح السياسي والاجتماعي من أكثر المفاهيم حضوراً وتداولاً في أدبيات الغربية المعاصرة، وخصوصاً في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية ([2]).

ان هذا هو الجانب المهم الاخر في تلك الظاهرة، جانبها المدني، هنا ايضاً من السهل الوقوع في خطأ الوصول سريعاً الى نتيجة "**الانطواء الطائفي**"، فمجتمع الطائفة الدينية ليس من قدره ان يعيش منغلقاً على نفسه، ذلك ان السعي الى الانصهار الاجتماعي أمر جوهري بالنسبة إليه، ولا تنفصل إرادته في تأكيد هويته الانشقاقية عن رغبة في ان يتم الاعتراف به بصفته مكوناً لا جدال فيه من مكونات المجتمع الأساسية([3]).

ان نقد العقل الديني يمثل من الاهتمامات الكبرى التي تصدى لها مفكري مدرسة فرانكفورت في محاولة تقديم نموذج جيد من شانه ان يؤدي تحقيق التقدم والازدهار. ومثل هذا الوضع ان التكوين الاجتماعي للمشاكل والأوضاع الحقيقية التي يستعمل فيها والأغراض التي يطبّق عليها

([1]) انطوني دى كرسبنى، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.
([2]) كمال بومنير، مصدر سبق ذكره، ص ص١٢٩-١٣٠.
([3]) مارسيل غوشيه، الدين في الديمقراطية: مسار العلمنة، ترجمة وتقديم شفيق محسن، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٢٢.

تبدو وأنها قائمة خارجها. أما النظرية النقدية للمجتمع فتأخذ كموضوع لها الناس بصفتهم منتجين لكلية الأشكال التي تكتسبها حياتهم في التاريخ([1]) .

وبطبيعة الحال فان الدور الثقافي والفكري للدين تأثر كثيراً وعلى نحو عاصف جراء التطورات العلمانية والتعددية في العصر الحديث، غير ان الوعي الديني نفسه برغم من استمرار تدهور نفوذ الديني المؤسسي في اكثر المجالات يبدو عاكفاً على استعادة حيويته جراء جملة الاوضاع الفكري الضبابية السائدة في حقبة ما بعد الحداثة، كذلك شهد الدين المعاصر انتعاشاً بفضل تعدديته الخاصة، إذ اهتدى الى اشكال تعبير جديدة ومنابع إلهام واستنارة متجددة ومتدفقة من الصوفية الشرقية، واستكشاف الذات التحذيري الى لاهوت التحرير والروحانية البيئية – النسوية، وعلى الرغم من ان صعود النزعة الفردية العلمانية وتدهور الايمان الديني التقليدي ربما أديا الى التعجل بانتشار التفسخ والضياع الروحيين، فان من الواضح بالنسبة الى كثيرين ان هذين التطورين نفسيهما تمخضا في النهاية عن تشجيع صيغ جديدة من التوجه الديني وقدر أكبر من الاستقلال الروحي([2]). في الواقع وانسجاماً مع طبيعة هذه الخصومة المثمرة مع الدين سيكون هناك على الدوام اتجاهان ممكنان لسياسة الاستقلالية، فهي الى جانب صيغتها **الليبرالية** التي تقوم على قاعدة التمييز بين الانظمة، والتي لا ترفض الدين الا الجانب السياسي من التبعية، ستتضمن منذ ولادتها صيغة **تسلطية**، تتطلع الى تحطيم كل ديانة باسم الاستقلالية وتميل الى الاستيعاب الكامل للمواطنين في السياسة تحت شعار تحقيق الاستقلالية، ان هذين الاتجاهين يتواجدان معا ويتصارعان، في كل تلك اللحظات المهمة التي كان ينبغي فيها تفعيل بناء الاستقلالية، ولا تشكل فترة العام استثناء للقاعدة، إذ ان الدين العلماني لم يأخذ مجده صدفة في الوقت الذي تم فيه الانفصال ما بين الدولة والدين. الاتجاهان متلازمان، وينهلان من المصدر نفسه، ويتابعان الهدف ذاته بواسطة طرقين مختلفتين، فالطموح التوتاليتاري في مضمونه المعاصر بنوع خاص ينشأ بموازاة المثال الديمقراطي الذي يتشكل في صيغته الجديدة المتمثلة في التنافس الحزبي، في الحال الاول، أدى العداء الجذري للدين والرغبة في ازاحته كلياً ونهائياً الى الاقتداء به فعلياً ، وانتقل الامل بالخلاص الى داخل الحياة الدنيوية وتحول مشروع الاستقلالية الى الطموح لجعل التاريخ يصل الى نهايته، على هيئة مجتمع يسود نفسه بالكامل، لان موحد مع نفسه في كل اجزائه وتحت شعار العلم الكامل بنفسه، هكذا ولدت السلطة

([1]) ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ١٩٧٤، ص١١.

([2]) ريتشارد تارناس، آلام العقل الغربي، نقله الى العربية فاضل جكتر، العبيكان - الرياض، كلمة - أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠، ص٤٨٢.

الثيوقراطية من جديد بشكل سلطة ايديولوجية. في الحالة الثانية، وعلى العكس من هذا الايمان بالوحدة حلت ثقافة الاختلاف والانقسام والتعارض، وتقدمت المشكلة على الحل، وأضحت المداولات حول الغايات الجماعية غاية بحد ذاتها، وعدت الاستقلالية شيئاً يتحقق عن طريق المجابهة غير المحدودة مع الذات، وليس هناك من داع لإبراز أهمية هذا التناوب بين الاحتمالين، لقد كان معضلة العصر، ولكن أبعد من هذا الاختلاف الجوهري حول طريقة وضع المثال موضع التنفيذ، ولاحظ ان الرهان السياسي قد تم تناوله بالطريقة نفسها في الحالتين ([1]).

الخاتمة: مما تقدم ان "مدرسة فرانكفورت" تعد من ابرز المدارس الفكرية التي قدمت اسهامات واضحة في تحليل المجتمع الغربي المعاصر من خلال رؤية نقدية للمجتمع، من أجل تجاوز المشاكل والسلبيات التي كانت تعاني منها هذه المجتمعات بعد الحرب العالمية الأولى .

وتبين ان الاصلاح السياسي والديني من الاهتمامات الرئيسة عند مفكري هذه المدرسة، خصوصاً (هربرت ماركوز) الذي يمثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت فقد قدم تصوراته الفكرية في نقد المجتمع الصناعي الرأسمالي والعقلية الاداتية الذي أصبح ذو بعد واحد وهو البعد الاستهلاكي . وان البيئة الفكرية المعاصرة تعاني من ازمات عديدة وأصبحت امام شكل جديد من أشكال الشمولية والقهر، فالتقدم التكنولوجي بدل ان يكون وسيلة لخدمة الانسان المعاصر، أصبح وسيلة للسيطرة عليه، الامر الذي يستدعى المراجعة والنقد . وهكذا، ان الديمقراطية أصبحت تعاني من ازمات عديدة لعل اهمها ان الحرية اصبحت وهم وفقدان الثقة بالعمل السياسي والسياسيين، وان النخبة هي التي تحكم ليس الجماهير الشعبية، فضلا عن انتشار الفقر والعوز وتسريح الكثير من العمال وتراجع النمو الاقتصادي . كما اتضح ان (ماركيوز) يرى ان الروح الفردية التي سادت في المجتمع الغربي المعاصر تتمخض في نهاية المطاف عن فقدان الذات، وان النزعة العقلانية التي نتوهم ان تسود الحضارة الصناعية سوف تفضي كذلك في نهاية المطاف الى نوع من اللاعقلانية الشاملة والمدمرة .

المصادر

أولاً – المصادر العربية: -

١- أحمد جميل حمودي، مدرسة فرانكفورت: شعلة اليسار الجديد، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية الانترنيت على الموقع
https://www.alawan.org/2013/12/08
٢- آلن هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، دار العين للنشر، الاسكندرية، المركز القومي للترجمة، العدد (١٥٨٤)، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

([1]) مارسيل غوشيه، مصدر سبق ذكره، ص ص٨٠-٨٢.

٣- توم بوتو مور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٤.
٤- مازن لطيف، مدرسة فرانكفورت النقدية، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع:
http://www.alnoor.se/article.asp?id=7665
٥- مارسيل غوشيه، الدين في الديمقراطية: مسار العلمنة، ترجمة وتقديم شفيق محسن، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٦- محمد نور الدين افاية، في النقد الفلسفي المعاصر: مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
٧- مجموعة مؤلفين، مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف، تحرير وأشراف علي عبود المحمداوي واسماعيل مهنانة، ابن النديم للنشر والتوزيع–الجزائر، دار الروافد الثقافية–ناشرون-بيروت، ط١، ٢٠١٢.
٨- نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت: ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو-نموذجا-دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٧.
٩- عبد الرضا حسين الطعان واخرون، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج٢، الفكر السياسي الغربي المعاصر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٨.
١٠- عبير سهام مهدي، مدرسة فرنكفورت النقدية: الاسس والمنطلقات الفكري، مجلة العلوم السياسية، العدد (٥٥)، السنة (١٠)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١٨.
١١- ديفيد إنغليز وجون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر، ط١، ٢٠١٣.
١٢- خالد مخشان، لنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: نشأتها، وأسسها الجوهرية ومنطلقاتها الفكرية (ج١)، مقال منشور على الشبكة المعلوماتية الدولية (الانترنيت) على الموقع :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=424370&r=0
١٣- مقال منشورة في جريدة مجلة المدى، على الشبكة المعلوماتية (الانترنيت) على الموقع:
https://almadapaper.net/view.php?cat=95016
١٤- هارولد ج. لاسكي، الحرية في الدولة الحديثة، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.
١٥- هربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورد طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨.
١٦- هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة، عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، ١٩٧١.
١٧- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيت، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط١، ٢٠١٠.
١٨- ريتشارد تارناس، آلام العقل الغربي، نقله الى العربية فاضل جكتر، العبيكان - الرياض، كلمة - أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠.

ثانياً- المصادر الانكليزية:-

١- Patrick J. Deneen, WHY LIBERALISM FAILED, Yale university press, New Haven and London, 2019.
٢- Herbert Marcuse, towards a Critical Theory of Society, collected papers of Herbert Marcuse, Volume Two, Edited by Douglas Kellner, Routledge, London and New York, 2001.